

ثواب الله للطائعين

الله تعالى ذكر أن الذين يعملون الصالحات يثيبهم الله في الدنيا، ويثيبهم في الآخرة، فمن ذلك قول الله تعالى: { وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جُزْءَ الآخِرَةِ أَكْبَرُ } نزلت في المهاجرين الذين هاجروا من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، وعدهم الله أنه يفتح عليهم الدنيا، وأنه يُعِينُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، وأنه يُبَدِّلُهُمْ بِدَلِّ مَا تَرَكُوا لِلَّهِ تَعَالَى - تركوا أموالهم، وديارهم، وأهليهم، تركوها لله، - فعوضهم الله خيرا منه، فهذه الآية فتح عليهم الدنيا، وأعطاهم ما كانوا تركوه، أو أكثر منه. فهذا معنى ما ذكر أنه أخبر بأن الذين هاجروا في الله من بعد ظلموا لنبوتهم في الدنيا حسنة، ولأجر الآخرة أكبر، لا ينقص ما أعطوهم في الدنيا من حظهم عند الله تعالى، بل يجمع الله لهم الأجرين. ومن ذلك قول الله تعالى: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } الحياة الطيبة في الدنيا هي: حياة السعادة، والرخاء، والطمأنينة، والرضا، ونحو ذلك، وهكذا يعيش المؤمن التقى إذا وفقه الله تعالى إلى الأعمال الصالحة، فإنه يحيا حياة طيبة- ولو كان فقيرا- يحيا حياة سعادة، يتلذذ بما أعطاه الله، ويجد في نفسه راحة، ويجد في قلبه طمأنينة، ويجد سعادة في حياته، ولا يجد قلقًا ولا اضطرابًا، ولا ضيقًا ولا هما ولا غمًا. نذكر بعض الآثار: ذكر عن إبراهيم بن أدهم أنه زهد في الدنيا، وزهد في أهلها، وكان من الأثرياء، ومن أهل الرفاهية في أول شبابه، ولكن ترك ذلك كله، فكان عيشه أنه يشتري رغيفا- قد يكون ذلك الرغيف يابسًا- ثم يشرب عليه ماء- قد يكون ذلك الماء أجاجا- ومع ذلك ينعم نعيما لا يوازيه شيء، فيقول: لو يعلم الملوك، وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف! يعني: أننا في لذة، وفي نعمة لا تعادلها نعمة الملوك الذين يرقفون عن أنفسهم، والذين ضحكت لهم دنياهم، نعيمنا الذي تنعم به أكبر وأعظم من نعيمهم الذي يتنعمون به في الدنيا، هذا النعيم هو لذة قلوبهم، هذا النعيم هو راحة أنفسهم، وهو سرورهم بما أعطاهم الله، وبما منَّ عليهم من نعيم زوجي قلوبهم، نعمت به أجسادهم، ولو كانوا في جوع، وفي جهد، وغير ذلك. وكانوا إذا مسهم الجوع لا يسألون أحدا. ذكر عنه اشتكى بعض زملائه شدة الجوع؛ فأملى عليه بيتين، قال اكتب: أنا حامد أنا ذاكِرُ أنا شاكرُ أنا جائعُ أنا حاسرُ أنا عاري هي ستة وأنا الضمين بنصفها فكن الضمين بنصفها يا باري يعني: أنه لم يُعَلِّقْ قلبه وعمله إلا بالله تعالى، لما كتب هذين البيتين أعطاهما زميله الذي مسه الجوع، فلما خرج مدها إلى رجل قابله وهو على فرس، فاستدعاه وقال: اذهب معي، فصرف له من الطعام، ومن الفواكه ما يكفيه ويبرد، فقال: هذا أفضل من أن نسأل الناس، وأن تتكفّفهم! إذا علقنا قلوبنا برينا فإنه سهل لنا. كذلك أيضا قال بعض العباد: إن في الدنيا جنة من لم يدقها لم يدق جنة الآخرة! ما يريد بذلك البساتين والأنهار، ولا يريد الأشجار والثمار، ولا يريد الفواكه والخضار، وإنما يريد لذة الطاعة، أي: التلذذ بالعبادة؛ فإنها لذة لا تعدلها لذة. وكذلك أيضا ذكر عن بعضهم أنه قال: إنه ليَمُرُّ بالقلب أوقات يرقص فيها طربا، أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا، إنهم لفي عيش طيب!! هذه الأوقات هي تلذذهم بالذكر، والقراءة، وبالذعاء، وبالعبادة، ونحوها، يتلذذون بالصلاة، ويتلذذون بالقراءة والذكر، ويتلذذون بكل أنواع الطاعة، ويرون لها وقفا في نفوسهم، ويجدون لها لذة لا تُعادلها لذة أهل الدنيا- أهل الشهوات- شهوات محرمة أو غيرها.